بسم الله الرحمن الرحيم

الملتقى القرآني السنوي

جمعية اقرأ لعلوم القرآن

عالي/ مملكة البحرين

ورقة بحثية

عنوان الورقة: إشكالية التشخيص الموضوعي في ممارسة الجري والانطباق

المحور: القلم القرآني

التاريخ: الأربعاء ٢٢ ربيع الآخر ١٤٤٧ للهجرة – ١٥ أكتوبر ٢٠٢٥ للميلاد

الوقت: ٧:٣٠ مساءً

المكان: برج طوبى/ عالي

إعداد: السَّيد محمَّد السَّيد علي العلوي

الصفة: طالب علوم دينية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله الطيبين الطاهرين

الحمد لله الذي أنزل الكتاب هدىً للناس، وجعله نورًا يستضاء به، وحبلًا متينًا من تمسك به نجا، ومن أعرض عنه هلك.

****

مُقدِّمة:

في عَالَمٍ تَتَكَاثَرُ فيه الأَصْواتُ وتَتَبَايَنُ المَرجعِيَّاتُ، يَبْقَى سُؤالُ الهِدَايَةِ حَاضِرًا بإلحَاح: أينَ نَجِدُ اليَقينَ؟ وإلى أيِّ مَصْدَرٍ نَرجعُ حِينَ تختلِفُ السُّبُلُ؟

مِنَ المقطُوعِ بِهِ عِنْدَ المُسْلِمينَ، أنَّ القُرْآنَ الكَريمَ هُوَ كِتَابُ الهِدَايَةِ الأَوَّلِ، وأنَّ الرجُوعَ إليهِ هو سَبيلُ النَّجَاة. وَلِهَذَا، فإنَّهُ المَصْدَرُ الَّذي مِنَ المُفتَرَض أنْ يَرْجعَ إليهِ المُسْلِمُونَ للتعَامُلِ مَعَ المُشْكِلَاتِ الَّتي تُواجِهُهم بمختلف صنوفها؛ وَهُوَ مَا تَدُلُّ عليهِ آيَاتٌ كَريمَاتٌ مُحْكَمَة؛ منها قولُه تعالى (**هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**)[1]، وقولُه سبحانه (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**)[2]، وقولُه (**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**)[3]، ثُمَّ جاءت النُّصوصُ الشَّريفَةُ مُستفيضَةً مُتَضَافِرَةً لِتأمُرَ بالتمسُّكِ بالكتاب العزيز وتوجِّهَ لتدبُّر آياته والتِزَامِهِ في كلِّ زمان ومكان؛ ومِمَّا يدلُّ على خصوصِ ذلك (أعني: التزامه في كلِّ زمان ومكان) مُرسَلُ العيَّاشيّ عن عبد الرحيم القصير، قال: "**كُنْتُ يَوْمًا مِنَ ٱلْأَيَّامِ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فَقَالَ: يَا عَبْدَ ٱلرَّحِيمِ. قُلْتُ: لَبَّيْكَ. قَالَ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): قَوْلُ ٱللَّهِ (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) إِذْ قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): أَنَا ٱلْمُنْذِرُ وَعَلِيٌّ ٱلْهَادِ وَمَنِ ٱلْهَادِ ٱلْيَوْمَ؟**

قَالَ: فَسَكَتُّ طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ هِيَ فِيكُمْ تَوَارَثُونَهَا رَجُلٌ فَرَجُلٌ حَتَّى اِنْتَهَتْ إِلَيْكَ، فَأَنْتَ جُعِلْتُ فِدَاكَ ٱلْهَادِ.

---

[1] - سورة الحديد: ٩.
[2] - البقرة: ١٨٥.
[3] - الإسراء: ٩.

قَالَ: صَدَقْتَ يَا عَبْدَ اَلرَّحِيمِ، إِنَّ اَلْقُرْآنَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، وَاَلْآيَةُ حَيَّةٌ لاَ تَمُوتُ، فَلَوْ كَانَتِ اَلْآيَةُ إِذَا نَزَلَتْ فِي اَلْأَقْوَامِ مَاتُوا فَمَاتَ اَلْقُرْآنُ، وَلَكِنْ هِيَ جَارِيَةٌ فِي اَلْبَاقِينَ كَمَا جَرَتْ فِي اَلْمَاضِينَ"[٤].

وجاء في مُوثَّقة السكوني، عَنْ أَبِي عَبْدِ اَللَّهِ عَنْ آبَائِهِ (عَلَيْهِمُ اَلسَّلاَمُ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ):

"أَيُّهَا اَلنَّاسُ، إِنَّكُمْ فِي دَارِ هُدْنَةٍ، وَأَنْتُمْ عَلَى ظَهْرِ سَفَرٍ، وَاَلسَّيْرُ بِكُمْ سَرِيعٌ، وَقَدْ رَأَيْتُمُ اَللَّيْلَ وَاَلنَّهَارَ وَاَلشَّمْسَ وَاَلْقَمَرَ يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ، وَيَأْتِيَانِ بِكُلِّ مَوْعُودٍ؛ فَأَعِدُّوا اَلْجَهَازَ لِبُعْدِ اَلْمَجَازِ.

قَالَ: فَقَامَ اَلْمِقْدَادُ بْنُ اَلْأَسْوَدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اَللَّهِ، وَمَا دَارُ اَلْهُدْنَةِ؟

قَالَ: دَارُ بَلاَغٍ وَاِنْقِطَاعٍ، فَإِذَا اِلْتَبَسَتْ عَلَيْكُمُ اَلْفِتَنُ كَقِطَعِ اَللَّيْلِ اَلْمُظْلِمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، وَمَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى اَلْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى اَلنَّارِ، وَهُوَ اَلدَّلِيلُ يَدُلُّ عَلَى خَيْرِ سَبِيلٍ، وَهُوَ كِتَابٌ فِيهِ تَفْصِيلٌ وَبَيَانٌ وَتَحْصِيلٌ، وَهُوَ اَلْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، وَلَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، فَظَاهِرُهُ حُكْمٌ، وَبَاطِنُهُ عِلْمٌ. ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ. لَهُ نُجُومٌ وَعَلَى نُجُومِهِ نُجُومٌ. لاَ تُحْصَى عَجَائِبُهُ، وَلاَ تُبْلَى غَرَائِبُهُ. فِيهِ مَصَابِيحُ اَلْهُدَى وَمَنَارُ اَلْحِكْمَةِ، وَدَلِيلٌ عَلَى اَلْمَعْرِفَةِ لِمَنْ عَرَفَ اَلصِّفَةَ، فَلْيَجْلُ جَالٍ بَصَرَهُ، وَلْيُبْلِغِ اَلصِّفَةَ نَظَرَهُ؛ يَنْجُ مِنْ عَطَبٍ وَيَتَخَلَّصْ مِنْ نَشَبٍ؛ فَإِنَّ اَلتَّفَكُّرَ حَيَاةُ قَلْبِ اَلْبَصِيرِ كَمَا يَمْشِي اَلْمُسْتَنِيرُ فِي اَلظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ، فَعَلَيْكُمْ بِحُسْنِ اَلتَّخَلُّصِ وَ قِلَّةِ اَلتَّرَبُّصِ"[٥]، وروى الشَّيخُ الصَّدوق بسنده عن الرَّيَّان بنِ الصَّلتِ، قال: قُلْتُ لِلرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): **"مَا تَقُولُ فِي اَلْقُرْآنِ؟ فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): كَلاَمُ اَللَّهِ، لاَ تَتَجَاوَزُوهُ، وَلاَ تَطْلُبُوا اَلْهُدَى فِي غَيْرِهِ فَتَضِلُّوا"**[٦].

فَمِنَ الثَّوابِت الحَقَّة الَّتي لا يُدانيهَا إشكالٌ ولا يَقْرُبُ حِمَاها نَقضٌ أنَّ القرآنَ الكريم كِتابُ هُدىً ورُشْدٍ، نُهينَا عَنْ تَجَاوزِه وَأُمِرنا بالتِزَامِهِ؛ وَقَدْ دَلَّ على ذَلِكَ مَا رَوَاهُ العَيَّاشِيُّ في التَّفْسِيرِ عَنْ أبي عَبْدِ اللهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): **"اَلْقُرْآنُ هُدًى مِنَ اَلضَّلاَلَةِ، وَ تِبْيَانٌ مِنَ اَلْعَمَى، وَاِسْتِقَالَةٌ مِنَ اَلْعَثْرَةِ، وَنُورٌ مِنَ اَلظُّلْمَةِ، وَضِيَاءٌ مِنَ اَلْأَحْزَانِ، وَعِصْمَةٌ مِنَ اَلْهَلَكَةِ، وَرُشْدٌ**

---

[٤] - تفسير العيَّاشي -محمَّد بن مسعود العيَّاشي- ج٢ ص٢٠٣.
[٥] - الكافي -الكليني- ج٢ ص٥٩٨.
[٦] - التوحيد -الصدوق- ص٢٢٣.

مِنَ اَلْغَوَايَةِ، وَبَيَانٌ مِنَ اَلْفِتَنِ، وَبَلاَغٌ مِنَ اَلدُّنْيَا إِلَى اَلْآخِرَةِ. وَفِيهِ كَمَالُ دِينِكُمْ. فَهَذِهِ صِفَةُ رَسُولِ اَللَّهِ (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لِلْقُرْآنِ، وَمَا عَدَلَ أَحَدٌ عَنِ اَلْقُرْآنِ إِلاَّ إِلَى اَلنَّارِ"[٧].

وكيفما كان؛ فإنَّ العُمدَةَ في المقام بَيَانُ رَسُولِ اللهِ (صلَّى الله عليه وآله) في قَولِهِ: "**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اَللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ اَلْحَوْضَ**"[٨].

تتعيَّن، بِهذه البياناتِ الصريحةِ، المرجعيَّةُ المِحوريَّةُ للقُرآنِ الكريم وحَتْمِيَّةُ وقُوعِ التَّيهِ والضَّلالِ بِتَرْكِهِ أو مُزَاحَمَتِهِ بِأيِّ ضِدٍّ مُطْلَقًا.

مشكلة البحث:

إنَّ المُسلمين كافَّة على يقين لا يداخله شَكٌّ في أنَّ القُرآنَ الكريمَ كِتَابُ هِدَايَةٍ قَدْ أُمِروا بِالتِزَامِهِ وَالتَّمَسُّكِ به كما سبقت الإشارة في المقدِّمة أعلاه، وَقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السَّلام) أنَّه قال: "**لاَ تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلًا، وَيَقِينَكُمْ شَكًّا؛ إِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا، وَإِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا**"[٩]، فَأَقْدَمَ عُلَمَاءُ الإِسْلَامِ على الكِتَابَةِ في عُلُومِ القُرْآنِ الكَرِيمِ حَتَّى ظَهَرَ ثَرَاءُ المَكْتَبَةِ العِلْمِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِنِتَاجِهِم على مُخْتَلَفِ تَوجُّهَاتِهِم وَمَشَارِبِهِم، إِلَّا أنَّ مَلْحُوظَةً تُسَجَّلُ على القَلَمِ البَحثِي المَقَالي؛ وَهِيَ تَخَلُّفُهُ الوَاضِحُ عَنِ الكِتَابَةِ القُرْآنِيَّةِ الَّتِي مِنْ شَأنِهَا، أو المتوقَّع وصُولُها إلى شَرَائِحِ المُثقَّفِينَ والقُرَّاءِ المُسلمينَ وغَيرِهِم، مَا تَرَكَ فَرَاغًا ثَقَافِيًّا وفِكْرِيًّا في عُمُومِ المُجْتَمَعَاتِ الإِسْلامِيَّةِ.

إنَّ هَذِهِ الظَاهِرةَ مُلاحَظَةٌ في رَصْدِ البَاحِثينَ وَالمُفَكِّرينَ، وَمِنْهُم مَنْ يُرجِعُها إلى مِثلِ الخِشْيَة مِنَ التَّأويلِ الخَاطِئ، أو الخَوفِ مِنَ الوقُوعِ في مَحْذُورِ التَّفْسيرِ بالرَّأي، وَفي حَالَاتٍ أُخْرَى يَعْتَبِرُ بَعْضُهُم النَّصَّ القُرآنِيَّ خَارِجًا عَنِ الإِطَارِ الأَكَادِيمي المَنْهَجِي.

ومِمَّن قرَّرها كَمُشْكِلَةٍ وَاقِعِيَّةٍ الشَّيخُ مُحَمَّد مَهدي شَمْسُ الدِّينِ في كِتَابِهِ (في الاجتماع السِّياسي الإِسْلامِي)، والسَّيدُ مُحَمَّد باقر الصَدْرُ في (المَدْرَسَةِ الإِسْلَامِيَّة) وفي بُحُوثٍ أُخْرَى لَه.

---

[٧] - تفسير العيَّاشِي -محمَّد بن مسعود العيَّاشِي- ج١ ص٥.
[٨] - كمال الدين وتمام النعمة -الصدوق- ج١ ص٢٣٧.
[٩] - نهج البلاغة -الشَّريف الرَّضي- ص٥٢٦.

تَطْرَحُ الوَرَقَةُ الحَالِيَّةُ في هَذَا السِّيَاقِ سُؤَالًا مَوضُوعِيًّا؛ هُوَ: لِمَاذَا يُحْجِمُ قَلَمُ المَقَالَةِ البَحْثِيَّةِ ذَاتِ الطَّابِعِ التَّحْلِيلِي عَنِ الإِقْدَامِ على اعتِمَادِ وَطَرْحِ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ الكَرِيمَةِ في شَوَاهِدِهِ وَإِسْقَاطَاتِهِ البَحْثِيَّةِ؟

تجدُرُ الإشارَةُ هنا إلى أنَّ موضوعَ التحليلِ والنَّقدِ مُنصرِفٌ عن القلمِ الإنشائي أو الخِطابي، ومتعيِّنٌ في القلمِ المقالي البَحثي، وإلَّا فمِنَ المقالات الإنشائيَّةِ والخِطابيَّةِ ما يبتني على المُصادَرَاتِ بحشدِ النُّصوصِ القُرآنيَّةِ والحَديثيَّةِ.

أهداف البحث:

١- تسليطُ الضوء على ظاهرة غياب النص القرآني عن المقالة البحثيَّة، رَغْمَ مركزيَّةِ القُرآنِ في التكوينِ الفكري الإسلامي.
٢- تفكيكُ الأسبابِ الثقافيَّةِ والنَّفسيَّةِ والمنْهجيَّةِ الَّتي أدَّتْ إلى هذا الغِيابِ، ومِن أهمِّها خُطُورَةُ مُمَارَسَةِ (الجَرْيِ والانْطِبَاقِ).
٣- تحليلُ مفهومِ (الهِدايةِ القُرآنيَّةِ) وبيانُ أنَّ إدراكَهَا لا يقتصِرُ على فَهْمِ الألفاظِ، بل يتطلبُ تجرُّدًا عن المُسْبَقَاتِ، وفهمًا مُعمَّقًا للمُرَادِ الإلَهِي.
٤- نقدُ التعامُلِ الانتقائي مع القرآن الكريم في الكتاباتِ الفكريَّةِ والدينيَّةِ.
٥- الدعوةُ إلى إعَادَة تأصيلِ مَركزيَّةِ القُرآنِ في الفِكْرِ والمَقالَةِ، بِمَنْهَجِيَّةِ التَّحَصُّنِ بِثَانِي الثِّقلَينِ وهو العِترةُ الطَّاهِرةُ.

وفي هذا الإطارِ، تعتمدُ الورَقَةُ الحاليَّةُ المنهجَ التحليليَّ التأصيليَّ، وقد سَعَتْ إلى تحليلِ ظاهِرَةِ غيابِ النَّصِّ القرآني عَنِ المَقَالَةِ البَحْثِيَّةِ. مَعَ العودةِ إلى النُّصُوصِ التَّأسيسيَّةِ (القرآنِ والروايات) في تأصيلِ المُقَارَبَةِ، وذلِكَ في سِياقٍ نَقْديٍّ أرجو أن يكون واضِحًا.

تنقيح مادّة الهداية:

مِنَ الوَاضِحِ أَنَّ الهِدَايَةَ لَيْسَتْ فِي كَلَامِ القُرْآنِ مِنْ حَيْثُ كَوْنِهِ أَلْفَاظًا وَمُرَكَّبَاتٍ لُغَوِيَّةً؛ إِذْ إِنَّهُ مِنْ هذِهِ الجِهَةِ لَا يَفْرُقُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الكَلَامِ. بَلَى؛ فَكَلَامُ الكِتَابِ العَزِيزِ فَارِدُ الدِّقَّةِ مِنْ كَافَّةِ جِهَاتِهِ الدَّلَالِيَّةِ، غَيْرَ أَنَّ حَيْثِيَّةَ الاشْتِرَاكِ الثَّابِتَةَ هِيَ حَيْثِيَّةُ الكَلَامِ الهِجَائِيِّ.

وَإِنَّمَا يَنْتَقِلُ المُتَلَقِّي مِنَ الدَّلَالَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ لِلكَلَامِ إِلَى المُرَادِ الوَاقِعِيِّ لِلمُتَكَلِّمِ بِتَنْقِيحِ جِهَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا نَفْسُهُ؛ بِتَجْرِيدِهَا مِنْ كَافَّةِ مُسْبَقَاتِهِ الثَّقَافِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ وَمَا نَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا يُؤَثِّرُ فِي فَهْمِهِ لِلكَلَامِ، وَالأُخْرَى المُتَكَلِّمُ؛ بِفَهْمِ تَوَجُّهَاتِهِ وَمُرْتَكَزَاتِهِ الثَّقَافِيَّةِ وَالفِكْرِيَّةِ، بَلْ وَحَالَتِهِ النَّفْسِيَّةِ المُؤَثِّرَةِ فِي المَعْنَى الَّذِي يُرِيدُهُ مِنَ الكَلَامِ.

أَمَّا التِزَامُ مُجَرَّدِ الدَّلَالَةِ اللُّغَوِيَّةِ المُعْجَمِيَّةِ فِي الفَهْمِ دُونَ مُرَاعَاةٍ وَاعْتِبَارٍ لِأَيِّ حَيْثِيَّةٍ أُخْرَى، فَلَا يَقُولُ بِهِ أَحَدٌ؛ إِذْ هُوَ مَقَامُ الدَّلَالَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ الخَالِيَةِ عَنْ أَيِّ إِرَادَةٍ وَقَصْدٍ. وَإِلَّا فَالقُيُودُ وَالمُخَصِّصَاتُ وَمَا لَهُ دَخَالَةٌ فِي فَهْمِ النَّصِّ، كَمَا أَنَّهَا تُفَادُ مِنْهُ، فَهِيَ تُفَادُ مِنْ خَارِجِهِ أَيْضًا.

وَلِذَلِكَ يَلْتَزِمُ العُقَلَاءُ بِتَتَبُّعِ كَلَامِ صَاحِبِ النَّصِّ وَمَا نُقِلَ عَنْهُ مِنْ مَوَاقِفَ وَتَقْرِيرَاتٍ وَأَفْعَالٍ، لِلْوُقُوفِ عَلَى المُرَادِ فِعْلًا مِنَ النَّصِّ مَحَلِّ الفَهْمِ وَالنَّظَرِ.

ثُمَّ إِنَّ الِانْتِقَالَ إِلَى مُرَادِ المُتَكَلِّمِ يَعْتَمِدُ عَلَى مَا يُظْهِرُهُ الكَلَامُ مِنْ مَعَانٍ، وَلَا نَقْصِدُ هُنَا مَعَانِيَ الأَلْفَاظِ المُفَادَةِ مِنَ المُعْجَمِ، وَلَكِنَّنَا نَقْصِدُهَا مُقْتَرِنَةً بِالمَعَانِي الحَرْفِيَّةِ، وَمَجْمُوعِ مَا قَالَهُ المُتَكَلِّمُ فِي كَافَّةِ مَقَامَاتِ كَلَامِهِ، ومِمَّا يُؤَيِّدُ ذلك قولُ الإمامِ أبي عبد الله الصَّادق (عليه السَّلام): "**حَدِيثٌ تَدْرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ حَدِيثٍ تَرْوِيهِ، وَلاَ يَكُونُ اَلرَّجُلُ مِنْكُمْ فَقِيهًا حَتَّى يَعْرِفَ مَعَارِيضَ كَلاَمِنَا، وَإِنَّ اَلْكَلِمَةَ مِنْ كَلاَمِنَا لَتَنْصَرِفُ عَلَى سَبْعِينَ وَجْهًا لَنَا مِنْ جَمِيعِهَا اَلْمَخْرَجُ**"[١٠]، وَهذَا لَيْسَ بِغَرِيبٍ، فَفِي تَفَاهُمَاتِنَا العُرْفِيَّةِ يَعْتَمِدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا فِي فَهْمِهِ لِكَلَامِ غَيْرِهِ عَلَى مَا يَعْرِفُهُ عَنْ تَوَجُّهَاتِهِ، وَطَرِيقَةِ تَفْكِيرِهِ، مُضَافًا إِلَى المَعَانِي المُعْجَمِيَّةِ لِلكَلِمَاتِ، وَالمَعَانِي الحَرْفِيَّةِ.

مِنْ هُنَا تَظْهَرُ الأَهَمِّيَّةُ البَالِغَةُ لِمُلَاحَظَةِ عِلَّةِ الظُّهُورِ -مَثَلًا-، وَالِانْصِرَافِ، وَالِانْسِبَاقِ، وَالنَّظَرِ فِي مَنَاشِئِهَا؛ فَمَا يَظْهَرُ عَنْ عِلَّةٍ غَيْرِ عِلْمِيَّةٍ، أَوْ غَيْرِ مُنْضَبِطَةٍ، فَلَيْسَ بِشَيْءٍ.

[١٠] - معاني الأخبار -الصدوق- ج١ ص٢.

لِذَا كَانَ التَّجَرُّدُ عَن غَيْرِ العِلْمِيِّ مِنَ القَوَاعِدِ وَالمَبَانِي المَخْزُونَةِ فِي النَّفْسِ، شَرْطًا أَصِيلًا فِي الفَهْمِ القَوِيمِ المُوَافِقِ لِمُرَادِ المُتَكَلِّمِ وَمَقَاصِدِهِ.

مُعضِلَة القواعد الفكريَّة:

إِنَّ مِنْ أَهَمِّ المُشْكِلَاتِ المُعَقَّدَةِ الَّتِي يُوَاجِهُهَا البَاحِثُ، وَعَلَى وَجْهِ الخُصُوصِ صَاحِبُ القَلَمِ المَقَالِيِّ، مُشْكِلَةُ التَّجَرُّدِ مِنْ مُسْبَقَاتِهِ الثَّقَافِيَّةِ وَالفِكْرِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ عِنْدَ فَهْمِهِ لِكَلَامِ اللهِ تَعَالَى وَكَلَامِ المَعْصُومِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

وَمِنَ المُلاحَظِ إِسْقَاطُ الإِنْسَانِ لِتَوَجُّهَاتِهِ عَلَى المَعْصُومِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، بَلْ وَعَلَى اللهِ جَلَّ فِي عُلَاهُ، وَهذَا مِمَّا هُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الشَّوَاهِدِ، لَا لِوُضُوحِهِ فَحَسْبُ، بَلْ لِكَثْرَتِهِ المُعْجِزَةِ عَنِ الحَصْرِ وَالإِحْصَاءِ.

وَفِي هذَا السِّيَاقِ أَمْرَانِ فِي مَسْأَلَةِ ابْتِنَاءِ القِرَاءَةِ وَالفَهْمِ عَلَى القَوَاعِدِ وَالرُّؤَى المَخْزُونةِ: أَحَدُهُمَا حُصُولُ الفَهْمِ بِالضَّرُورَةِ عَنْ قِيَاسٍ إِلَى صُوَرٍ أَوْ قَوَاعِدَ حَاصِلَةٍ فِي الذِّهْنِ، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ يَتَغَيَّرُ فَهْمُ النَّصِّ بِحَسَبِ التَّخَصُّصِ أَوِ التَّوَجُّهِ العِلْمِيِّ.

وَالآخَرُ هُوَ انْصِرَافُ الفَهْمِ إِلَى مَا عَلَيْهِ القَارِئُ مِنْ تَوَجُّهَاتٍ فِكْرِيَّةٍ أَوْ نَفْسِيَّةٍ.

وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا هُوَ: عِلْمِيَّةُ الأَوَّلِ، بِحَيْثُ يَكُونُ لِصِيَاغَةِ المَقَالَةِ وُجُوهٌ اسْتِدْلَالِيَّةٌ عَلَى أُسُسٍ عِلْمِيَّةٍ وَاضِحَةٍ، مَعَ غَضِّ النَّظَرِ عَنْ صِحَّتِهَا مِنْ عَدَمِهَا.

وَعَاطِفِيَّةُ الثَّانِي؛ فَلَا تَقَعُ مَقَالَتُهُ - فِي الغَالِبِ - عَلَى غَيْرِ الخِطَابِيَّاتِ وَالمُصَادَرَاتِ.

إِذَنْ؛ فَلِفَهْمِ آيَاتِ الكِتَابِ العَزِيزِ لَا بُدَّ مِنْ تَحْصِيلِ أَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الطَّرِيقُ لِفَهْمِ المُرَادِ الوَاقِعِيِّ لِلهِ جَلَّ فِي عُلَاهُ.

وَالآخَرُ: التَّجَرُّدُ مِنْ مُطْلَقِ المُسْبَقَاتِ المُؤَثِّرَةِ فِي الفَهْمِ، مَا لَمْ تَكُنْ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوِ المَعْصُومِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

الروايات الصَّارفة عن البناء على الظواهر اللفظيَّة:

بِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّ لِلرِّوَايَاتِ الصَّارِفَةِ عَنْ ظَوَاهِرِ الكَلَامِ، فِي بَعْضِ المَوَارِدِ، حُضُورًا فِي تَعْلِيمِ الأَئِمَّةِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) لِشِيعَتِهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا فِي مُرْسَلَةِ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اَللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فِي قَوْلِ اَللَّهِ (**إِنَّ عِبٰادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰانٌ**)، فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): "**لَيْسَ عَلَى هَذِهِ اَلْعِصَابَةِ خَاصَّةً سُلْطَانٌ.**

قُلْتُ: وَكَيْفَ؛ وَ فِيهِمْ مَا فِيهِمْ؟

فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): لَيْسَ حَيْثُ تَذْهَبُ؛ إِنَّمَا هُوَ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ أَنْ تُحَبِّبَ إِلَيْهِمُ اَلْكُفْرَ وَتُبَغِّضَ إِلَيْهِمُ اَلْإِيمَانِ"[11].

وفي مرسلة العيَّاشي، عن جابر، قال: قَالَ أَبُو عَبْدِ اَللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): "**يَا جَابِرُ، إِنَّ لِلْقُرْآنِ بَطْنًا، وَلِلْبَطْنِ ظَهْرًا. ثُمَّ قَالَ: يَا جَابِرُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ اَلرِّجَالِ مِنْهُ؛ إِنَّ اَلْآيَةَ لَتَنْزِلُ أَوَّلُهَا فِي شَيْءٍ، وَأَوْسَطُهَا فِي شَيْءٍ، وَآخِرُهَا فِي شَيْءٍ، وَهُوَ كَلَامٌ مُتَّصِلٌ يَتَصَرَّفُ عَلَى وُجُوهٍ**"[12]، ولِذا جاء عن أبي جعفر (عليه السَّلام) أنَّه قال: "**إِنَّمَا يَعْرِفُ اَلْقُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِهِ**"، وذلك في احتجاجه على قَتَادَة بن دِعَامَة في المُسنَد عن زيد الشَّحَّام، قال: "**دَخَلَ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ) فَقَالَ:**

يَا قَتَادَةُ؛ أَنْتَ فَقِيهُ أَهْلِ اَلْبَصْرَةِ؟

فَقَالَ: هَكَذَا يَزْعُمُونَ.

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ): بَلَغَنِي أَنَّكَ تُفَسِّرُ اَلْقُرْآنَ!

فَقَالَ لَهُ قَتَادَةُ: نَعَمْ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ): بِعِلْمٍ تُفَسِّرُهُ أَمْ بِجَهْلٍ؟

قَالَ: لاَ؛ بِعِلْمٍ.

---

[11] - المحاسن -البرقي- ص١٧١.

[12] - تفسير العيَّاشي – محمَّد بن مسعود العيَّاشي – ج١ ص١١.

فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ) فَإِنْ كُنْتَ تُفَسِّرُهُ بِعِلْمٍ فَأَنْتَ أَنْتَ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ.

قَالَ قَتَادَةُ: سَلْ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سَبَإٍ (وَقَدَّرْنٰا فِيهَا اَلسَّيْرَ سِيرُوا فِيهٰا لَيٰالِيَ وَأَيّٰامًا آمِنِينَ).

فَقَالَ قَتَادَةُ: ذَلِكَ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ بِزَادٍ حَلاَلٍ وَرَاحِلَةٍ وَكِرَاءٍ حَلاَلٍ يُرِيدُ هَذَا اَلْبَيْتَ كَانَ آمِنًا حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ.

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ): نَشَدْتُكَ اَللَّهَ يَا قَتَادَةُ؛ هَلْ تَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يَخْرُجُ اَلرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ بِزَادٍ حَلاَلٍ وَرَاحِلَةٍ وَكِرَاءٍ حَلاَلٍ يُرِيدُ هَذَا اَلْبَيْتَ فَيُقْطَعُ عَلَيْهِ اَلطَّرِيقُ فَتَذْهَبُ نَفَقَتُهُ وَيُضْرَبُ مَعَ ذَلِكَ ضَرْبَةً فِيهَا اِجْتِيَاحُهُ؟!

قَالَ قَتَادَةُ: اَللَّهُمَّ نَعَمْ!

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ): وَيْحَكَ يَا قَتَادَةُ؛ إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا فَسَّرْتَ اَلْقُرْآنَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِكَ فَقَدْ هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَهُ مِنَ اَلرِّجَالِ فَقَدْ هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ. وَيْحَكَ يَا قَتَادَةُ؛ ذَلِكَ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ بِزَادٍ وَرَاحِلَةٍ وَكِرَاءٍ حَلاَلٍ يَرُومُ هَذَا اَلْبَيْتَ عَارِفًا بِحَقِّنَا، يَهْوَانَا قَلْبُهُ كَمَا قَالَ اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ اَلنّٰاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ)، وَلَمْ يَعْنِ اَلْبَيْتَ فَيَقُولَ (إِلَيْهِ)، فَنَحْنُ وَاَللَّهِ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ) اَلَّتِي مَنْ هَوَانَا قَلْبُهُ قُبِلَتْ حَجَّتُهُ وَإِلاَّ فَلاَ. يَا قَتَادَةُ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ آمِنًا مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ.

قَالَ قَتَادَةُ: لاَ جَرَمَ وَاَللَّهِ لاَ فَسَّرْتُهَا إِلاَّ هَكَذَا.

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ): وَيْحَكَ يَا قَتَادَةُ؛ إِنَّمَا يَعْرِفُ اَلْقُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِهِ"[١٣].

كَانَ الإِمَامُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي مَقَامِ اِلاحْتِجَاجِ عَلَى قَتَادَةَ، وَصَرْفِهِ عَنِ الأَخْذِ عَنْ غَيْرِ الَّذِينَ خُوطِبُوا بِالقُرْآنِ، وَإِلَّا فَتَفْسِيرُهُ لِلآيَةِ الكَرِيمَةِ مُوَافِقٌ لِلظَّاهِرِ، وَلَا يُخَالِفُهُ فَهْمٌ إِلَّا بِتَكَلُّفٍ!

الأثر الواقعي لمثل هذه الروايات:

[١٣] - الكافي -الكليني- ج٨ ص٣١١.

إِنَّ لِقَدَاسَةِ الكِتَابِ العَزِيزِ، لِكَوْنِهِ كَلَامَ البَارِي جَلَّ فِي عُلَاهُ، وَلِلرِّوَايَاتِ الصَّارِفَةِ عَنْ تَفْسِيرِهِ بِالرَّأْيِ، وَأَنَّ فَهْمَهُ مَقْصُورٌ عَلَى مَنْ خُوطِبَ بِهِ، حُضُورًا جَوْهَرِيًّا فِي ثَقَافَةِ المُجْتَمَعِ مِنَ الجِهَتَيْنِ: الفِكْرِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ.

وَتَتَعَزَّزُ هذِهِ الثَّقَافَةُ مَعَ انْتِشَارِ المَقَالَاتِ الَّتِي تَسْتَعْمِلُ النُّصُوصَ الشَّرِيفَةَ فِي المُغَالَبَةِ وَمُصَادَرَةِ الآخَرِ الَّذِي يَسْتَعْمِلُ نَفْسَ الأُسْلُوبِ أَيْضًا!

وَالحَالُ أَنَّ أَطْرَافَ النِّزَاعِ تَتَدَرَّعُ بِجَرَيَانِ المَعَانِي وَالمَفَاهِيمِ القُرْآنِيَّةِ فِي سَائِرِ الأَزْمِنَةِ، وَقَابِلِيَّتِهَا لِلانْطِبَاقِ عَلَى غَيْرِ مَوْرِدِ صُدُورِ النَّصِّ.

تَبْتَعِدُ المَقَالَةُ البَحْثِيَّةُ ذَاتُ الطَّابِعِ التَّحْلِيلِيِّ العِلْمِيِّ عَنِ الارْتِكَازِ عَلَى الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ، خَشْيَةَ الوُقُوعِ فِي دَوَائِرِ الجَدَلِ الَّتِي يُسْتَعْمَلُ فِيهَا القُرْآنُ الكَرِيمُ لِلتَّنَازُعِ وَالمُغَالَبَةِ، وَهذِهِ مُشْكِلَةٌ وَاقِعِيَّةٌ يَنْبَغِي التَّوَقُّفُ عِنْدَهَا، لِدِرَاسَتِهَا وَاسْتِيفَاءِ فَهْمِ حَيْثِيَّاتِهَا المَوْضُوعِيَّةِ.

نظرية الجري والانطباق:

فِي بيانٍ[١٤] لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ صَنْقُور (حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى)، قَالَ: "المُرَادُ مِنَ الجَرْيِ وَالِانْطِبَاقِ هُوَ: إِسْقَاطُ وَتَطْبِيقُ مُفَادِ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ القُرْآنِ نَزَلَتْ فِي شَأْنٍ مِنَ الشُّؤُونِ، عَلَى شَأْنٍ آخَرَ لَمْ يَكُنْ قَدْ وَقَعَ فِي عَصْرِ النَّصِّ، أَوْ لَمْ يَكُنْ مَنْشَأً لِلنُّزُولِ، وَلَكِنَّهُ وَاجِدٌ لِذَاتِ الخُصُوصِيَّاتِ الَّتِي اقْتَضَتْ نُزُولَ الآيَةِ فِي ذَلِكَ الشَّأْنِ".

"وَكَذَلِكَ يَكُونُ الجَرْيُ وَالِانْطِبَاقُ فِي إِسْرَاءِ الآيَاتِ النَّازِلَةِ فِي أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ، أَوْ فَرْدٍ، أَوْ فِئَةٍ، إِلَى أُمَّةٍ، أَوْ فَرْدٍ، أَوْ فِئَةٍ أُخْرَى، تَحْمِلُ ذَاتَ الخُصُوصِيَّاتِ الَّتِي كَانَ يَتَّصِفُ بِهَا مَنْ نَزَلَتْ فِيهِمْ تِلْكَ الآيَاتُ، وَكَانَتْ مَنْشَأً لِمَدْحِهَا أَوْ ذَمِّهَا إِيَّاهُمْ".

ثُمَّ إِنَّهُ (حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى) أَكَّدَ عَلَى عُنْصُرٍ مُهِمٍّ فِي قَوْلِهِ: "يَتَحَتَّمُ التَّثَبُّتُ مِنْهُ فِي عَمَلِيَّةِ الجَرْيِ وَالِانْطِبَاقِ؛ وَهُوَ: الدِّرَاسَةُ الوَافِيَةُ لِخُصُوصِيَّاتِ المَوْرِدِ الَّذِي يُرَادُ تَطْبِيقُ الآيَةِ عَلَيْهِ، فَمَا لَمْ يُسْتَوْفَ

[١٤] - مقالة للشَّيخ محمَّد صنقور بعنوان: الجري والانطباق.. معناه وضوابطه. (منشورة في موقع: حوزة الهدى للدراسات الدينيَّة) مِن كتاب: شؤون قرآنية للشَّيخ.

التَّشْخِيصُ المَوْضُوعِيُّ لِلْمَوْرِدِ، لَا يَكُونُ الجَرْيُ وَالتَّطْبِيقُ لِلآيَةِ عَلَيْهِ مِمَّا يَصِحُّ التَّعْوِيلُ عَلَيْهِ عَقْلَائِيًّا".

إشكالٌ موضوعيٌّ:

تَرْجِعُ أَيُّ نَتِيجَةٍ يُنْتَهَى إِلَيْهَا إِلَى مُقَدِّمَاتٍ وَأَسْبَابٍ أَنْتَجَتْهَا، وَ"الدِّرَاسَةُ الوَافِيَةُ لِخُصُوصِيَّاتِ المَوْرِدِ الَّذِي يُرَادُ تَطْبِيقُ الآيَةِ عَلَيْهِ"، وَالوَفَاءُ بِحَقِّ "التَّشْخِيصِ المَوْضُوعِيِّ لِلْمَوْرِدِ"، تَبْتَنِي عَلَى مُقَدِّمَاتٍ عِنْدَ البَاحِثِ.

فَحَتَّى مَعَ كَوْنِهَا عِلْمِيَّةً، فَهِيَ أَيْضًا تَرْجِعُ إِلَى رُؤًى وَمَذَاهِبَ فِكْرِيَّةٍ أَنْتَجَتْهَا وَأَدَّتْ إِلَيْهَا، وَهذَا مَا يُفَسِّرُ التَّعَدُّدَ فِي نَتَائِجِ الدِّرَاسَةِ وَالتَّشْخِيصِ، وَقَدْ يَصِلُ - فِي مَوَارِدَ لَيْسَتْ بِالقَلِيلَةِ - إِلَى حَدِّ التَّعَاكُسِ وَالتَّضَادِّ.

إِنَّ مَا تَسْعَى الوَرَقَةُ الحَالِيَّةُ إِلَى بَيَانِهِ، وَاقِعٌ يَشْهَدُ بِهِ التَّبَايُنُ وَالتَّعَاكُسُ بَيْنَ التَّوَجُّهَاتِ الفِكْرِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِشَكْلٍ عَامٍّ، وَالشِّيْعِيَّةِ عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ؛ فَمَعَ اعْتِمَادِ كُلٍّ مِنْهَا وَارْتِكَازِهَا عَلَى نُصُوصِ الثِّقْلَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، إِلَّا أَنَّ الِاخْتِلَافَ بَيْنَهَا يَصِلُ إِلَى حَدِّ التَّعَاكُسِ فِعْلًا وَوَاقِعًا.

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ - بِحَسَبِ مَا يَرَاهُ البَحْثُ - هُوَ المَنَاشِئُ الَّتِي يُقْبَلُ بِهَا، وَمِنْ خِلَالِهَا، عَلَى فَهْمِ النُّصُوصِ.

لِذَا، فَإِنَّ الِاتِّفَاقَ عَلَى تَفْكِيكِ مُطْلَقِ المُسْبَقَاتِ، وَعَلَى وَحْدَةِ المَصْدَرِ وَالمَنْهَجِ لِلتَّرْكِيبِ الذِّهْنِيِّ وَالنَّفْسِيِّ وَالفِكْرِيِّ، هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى تَصْحِيحِ المَسَارِ، بِمَا يَنْعَكِسُ عَلَى عُمُومِ العَطَاءِ الثَّقَافِيِّ وَالفِكْرِيِّ، المَبْنِيِّ بِقُوَّةٍ وَرُسُوخٍ عَلَى الثِّقْلَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَمِنْهُ عَطَاءُ القَلَمِ البَحْثِيِّ المَقَالِيِّ.

إِنَّ الثِّقْلَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ مَعًا هُمَا المَصْدَرُ الَّذِي أُمِرْنَا بِاعْتِمَادِهِ، دُونَ مُزَاحَمَةٍ مِنْ غَيْرِهِ، طَلَبًا لِلأَمْنِ مِنَ الضَّلَالِ. وَلَكِنَّ هذَا لَا يَحُلُّ المُشْكِلَةَ دُونَ الارْتِكَازِ عَلَى مُقَدِّمَتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: التَّخَلُّصُ مِنْ مُطْلَقِ المُسْبَقَاتِ الثَّقَافِيَّةِ وَالفِكْرِيَّةِ المُكْتَسَبَةِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا هذَا الشَّرْطَ الأَصِيلَ غَيْرَ مَرَّةٍ.

وَالأُخْرَى: اعْتِمَادُ نُصُوصِ الثِّقْلَيْنِ حَصْرًا، مَادَّةً لِتَكْوِينِ القَوَاعِدِ وَالمَفَاهِيمِ الَّتِي يُقَاسُ عَلَيْهَا كُلُّ عِلْمٍ جَدِيدٍ.

ثُمَّ إِنَّ هذَا التَّكَوُّنَ لِلْقَوَاعِدِ وَالمَفَاهِيمِ المَأْخُوذَةِ مِنْ نُصُوصِ الثِّقْلَيْنِ، لَا يَصِحُّ اعْتِبَارُهُ، مَا لَمْ يَسْتَنِدْ إِلَى دِرَاسَةِ كُلِّ النُّصُوصِ المُثْبَتَةِ فِي الكُتُبِ الحَدِيثِيَّةِ المُعْتَبَرَةِ، ففي المُسنَدِ عَنْ أَبِي حَيُّونٍ مَوْلَى اَلرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، قَالَ: "**مَنْ رَدَّ مُتَشَابِهَ اَلْقُرْآنِ إِلَى مُحْكَمِهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ فِي أَخْبَارِنَا مُتَشَابِهًا كَمُتَشَابِهِ اَلْقُرْآنِ، وَمُحْكَمًا كَمُحْكَمِ اَلْقُرْآنِ؛ فَرُدُّوا مُتَشَابِهَهَا إِلَى مُحْكَمِهَا، وَلاَ تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهَا دُونَ مُحْكَمِهَا فَتَضِلُّوا**"[١٥].

توصية الورقة:

لَا شَكَّ فِي التَّسْلِيمِ لِضَرُورَةِ اعْتِمَادِ الكِتَابِ العَزِيزِ ثِقْلًا أَكْبَرَ، وَإِلَى جَانِبِهِ العِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ، وَقَدْ أُمِرْنَا بِالتَّمَسُّكِ بِهِمَا طَلَبًا لِلْعِصْمَةِ مِنَ الضَّلَالِ.

وَبَعْدَ الوُقُوفِ عَلَى خَطَإِ الِانْفِرَادِ بِفَهْمِ الكِتَابِ العَزِيزِ، فَإِنَّ الوَرَقَةَ تُوصِي بِالتَّالِي:

إِنْشَاءُ قِسْمٍ خَاصٍّ فِي (جَمْعِيَّةِ اقْرَأْ لِعُلُومِ القُرْآنِ)، يُعْنَى بِدِرَاسَةٍ نَوْعِيَّةٍ لِلرِّوَايَاتِ الشَّرِيفَةِ الوَارِدَةِ عَنِ العِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ، بِنَاءً عَلَى كَوْنِهَا:

أَوَّلًا: مَصْدَرَ التَّكَوُّنِ الصَّحِيحِ لِمَنْظُومَةِ الفِكْرِ وَالنَّظَرِ القَوِيمَيْنِ.

ثَانِيًا: المُبَيِّنَةَ وَالمُفَسِّرَةَ لِلكِتَابِ العَزِيزِ.

وَهذَا عَمَلٌ أَوْسَعُ مِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ بِالمَأْثُورِ، إِذْ إِنَّ الأَصْلَ فِيهِ هُوَ كَوْنُ كُلِّ الرِّوَايَاتِ الوَارِدَةِ عَنْهُمْ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) إِنَّمَا هِيَ لِسَانُ بَيَانٍ لِلكِتَابِ العَزِيزِ.

إِنَّ لِهذَا العَمَلِ التَّخَصُّصِيِّ دَوْرًا مَحْوَرِيًّا فِي إِحْدَاثِ نَقْلَةٍ نَوْعِيَّةٍ فِي الوَعْيِ بِكِتَابِ اللهِ جَلَّ فِي عُلَاهُ، بِمَا يَنْعَكِسُ عَلَى أَقْلَامِ البَاحِثِينَ وَالمُثَقَّفِينَ لِلكِتَابَةِ القُرْآنِيَّةِ فِي حِصْنِ الرِّوَايَاتِ الشَّرِيفَةِ، وَهُوَ زُبْدَةُ مِخَاضِ هذِهِ الوَرَقَةِ.

[١٥] - عيون أخبار الرّضا (عليه السَّلام) -الصدوق- ج١ ص٢٩٠.